علال الفاسي
مفكر اسلامي مغربي كبير

قالوا في التقريب

نَحوَ وحدة إسلامية

السير نحو الوحدة الاسلامية متوقف قبل كل شيء على تصحيح الأوضاع فيما يرجع للعقيدة الاسلامية، وفيما يرجع للتوحيد الاسلامي وتطهير عقيدة المسلمين ودعوة المسلمين قاطبة الى أن يخلصوا ايمانهم بالله وان لا يشركوا معه أحدا. وهذه العقيدة المؤمنة الخالصة هي التي سترفع عنهم كل عبودية الا عبودية الله عزوجل، وهي التي ستمنحهم الحرية الكاملة حيث انهم لا يستطيعون ان يخضعوا لإنه مصطنع ولا لرئيس من الرؤساء، ولا يتخذون من دون الله انداداً يحبونهم كحب الله، ولا رؤساء يطيعونهم طاعة الله، ولا ملوكا وزعماء وقادة ينفذون ما يريدونه، ولو كان ضد الدين، ولو كان ضد مصلحة المسلمين. هذا الايمان الحق، هذا التوحيد الخالص ضروري ولا يمكن ابدا ان تتحقق حرية المسلمين في نفوسهم وفي مجتمعهم، الا اذا حققوا هذا التوحيد الخالص. هذا ما يرجع باختصار الى وحدة الالوهية.

أما النقطة الثانية فهي التي ترجع الى وحدة الربوبية.

فوحدة الربوبية تستوجب منّا ان لا نشرع ولا نخضع لمشرع في اصول الدين وفي اصول الشريعة الا لله عزوجل، الا لخطابات الله عزوجل، الا لكتاب الله وسنة رسوله(ص)، واصول الاجتهاد التي تعتبر بمثابة تلك الخطابات عند العلماء المجتهدين.

فلابد للوصول الى هذه الوحدة الاسلامية من العمل على بعث الشريعة الاسلامية، والعمل بمقتضى الشريعة الاسلامية وإلغاء القوانين الاجنبية التي تسربت الى العالم الاسلامي. فالفرقة التي وقعت للمسلمين، لم تقع في صميم قلوب المسلمين، وإنما وقعت في هذه الاشياء التي ثرنا عليها، بسبب جهلنا وبسبب اقتدائنا بالغرب وبسبب تأثرنا بالمستعمرين وبسبب الاستعمار الفكري الذي اصاب نفوسنا وعقولنا وقلوبنا ولا يمكننا ان نتحرر من سيطرة الاجنبي الا اذا تحررنا من هذه السيطرة الفكريةوالعقلية. فلا يمكن لبلاد المسلمين ان تبقى تحكم نفسنا بمقتضى شرائع ما انزل الله بها من سلطان، بمقتضى قوانين وضعها الاجانب لبلادهم، وقد يكون فيها شيء من الخير، وقد يكون فيها شيء من العدل، ولكنها مادامت لا تنطبق على اصول الشريعة الاسلامية وعلى قواعدها، ومادمنا لا نحكم بها على انها شريعة اسلامية، الا ونحن مذنبون، خارجون عن واجب المسلمين، ولا يمكن للجماعة الاسلامية في الأرض ان تتحد اتحادا كاملا الا اذا وحدت شرائعها، الا اذا ألغت هذه التشريعات الاجنبية مهما كان امرها، ثم عادت فنظرت في أمرها واحيت الفقه الاسلامي وتدارسته وتعلمته. وانني أؤكد لكم ان الفقه الاسلامي هو الذي يمثل الفكر الاسلامي التمثيل الصحيح، اكثر من كل علم من علوم الاسلام، لأن الفقه الاسلامي انما كان يستند الى اقوال المجتهدين والمجتهدون ما كانوا يقولون شيئاً أو

يفكرون بحكم الا للبحث عن وسائل التطبيق، تطبيق ما يفهمونه من كتاب الله وسنة رسوله(ص).

وانما يجب ان لا يكون الاجتهاد ممزوجا باتباع الهوى وباتباع شهوة النفس، وشهوة الرؤساء، وحب التملق للملحدين أو لادعياء الافكار التقدمية الذين هم بعيدون عن حقيقة الاسلام، بل يجب ان يكون الاجتهاد مستمدا من كتاب الله وسنة رسوله وما تقتضيه مصلحة المسلمين في كل زمان وفي كل مكان وفي كل بقعة، وبحسب النازلة التي تعرض للمجتهد أو للمفتي بشرط أن لا تكون هنالك شهوة ولا يكون هنالك غرض من الاغراض ولا تملق للرؤساء ولا للزعماء، ولا تظاهر بتقدمية، ولا تملق لذوي الافكار المستقاة من الاجانب. ان كان هذا الاجتهاد على حقيقته فالاسلام قد اباحه للمسلمين ولابد من وقوعه ولابد من قيامه.

ان المسلمين قد ورثوا تراثا عظيما من الفقه لم يرثه غيرهم. لا الرومانيون ولا اللاتينيون ولا الجرمانيون ولا السلافيون ولا غيرهم من رجال القانون الموجودين في هذا العصر يستطيعون ان يدلوا ويفتخروا بما يمكن للمسلمين ان يفتخروا به من هذه الثروة الهائلة من الفقه الاسلامي على اختلاف المذاهب مذاهب السنة، مذاهب الشيعة، مذاهب الحنابلة، مذاهب المالكية مذاهب الحنفية، كل المذاهب الفقهية. كلها من ناحية الفقه وان اختلفت في بعض النواحي الاخرى، من ناحية الفقه متقاربة ولها كذلك من الفوائد العظيمة ما يمكن للمشرع الحديث، يعني الذي يريد ان يدون مدونات للفقه الاسلامي بصفة حديثة في أي بلد من بلدان الاسلام، ما يمده باحكام لها دلائلها في كتاب الله وسنة رسوله(ص).

فالمجتمع الاسلامي يجب ان يكون مجتمعا تضامنيا لان جميع افراده سواء، لانهم جميعا خلفاء الله في الارض، وكلهم مكلفون بعمارتها، وكلهم مكلفون

باقامة العدل فيها، وكلهم مكلفون فيها بتنمية اقتصادياتها، وكلهم مكلفون بتقوية الانتاج الذي يتوقف عليه سكانها، وكلهم مكلفون بالدفاع عن حوزتها، وكلهم مكلفون بنشر الفضائل فيها بين افراده وكلهم مكلفون بمقاومة الرذائل وعدم تفشيها، كلهم مكلفون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وهذه هي المواطنة، والمواطنة الاسلامية تضامن بين جميع المسلمين. «فالمسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا» كما في الحديث الشريف. وقد قال(ص) أيضاً: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» فالمسلمون يد واحدة وأمة واحدة وجماعة واحدة، والعمل الذي يقوم به كل فرد منهم انما هو جارحة من جوارح الأمة بأجمعها، عضو من أعضاء الأمة يقوم ببعض اعمال الأمة، وفي الحقيقة الأمة هي التي تقوم بذلك. فنحن أمة واحدة وكتلة متحدة. ﴿وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فأعبدون﴾[١] ، ﴿فأنا ربكم فاتقون﴾[٢] اذن الأمم الاسلامية كلها، اذا صح ان نسميها اما أو ان نطلق عليها شعوبا كما يعبرون اليوم، انما هي في الحقيقة شعب واحد هو الشعب المسلم من أرض الصين الى جنوب افريقيا[٣].

ونحن الان أمام عدو فضيع قد هاجم اقدس البلاد الاسلامة، قد هاجم فلسطين، قد هاجم الأرض المقدسة، قد هاجم أولى القبلتين ومسرى سيدنا محمد(ص). القدس الشريف هاجمه الصهاينة الاشرار، هاجمه اليهود ومن معهم من أولائك الاعداء؛ لأنهم لا يستطيعون ان يقوموا بشيء إلا بحبل من الله وحبل من الناس، ولكنهم إن شاء الله سيبوؤون بغضب من الله حسب وعد الله سبحانه ولن يخلف الله وعده. ولكن الشرط يجب ان يتحقق بتنبه المسلمين وبتضامنهم فيما بينهم في هذا السبيل.

والمواطنة تعني حب الوطن الاسلامي. ولكن لا وطن بغير الايمان. البلدان الاسلامية، اذا خلا منها الاسلام، اذا خلا منها حكم الاسلام، لا تعود بالأسف وطنا اسلاميا. كانت الأندلس بالأمس وطنا اسلاميا وكانت ارضا لأجدادنا، ولكننا أُخرجنا منها فهل نعتبرها وطنا لنا؟ لا، لأن الاسلام لم يبق فيها. فلذلك ان نبذل كل مستطاعنا للمحافظة على الاسلام في أرض الاسلام، وللدفاع عن الاسلام في أرض الاسلام، وبالخصوص هذه الأراضي المستعمرة، هذه البلاد المستعبدة، هذه الأرض التي يسيطر عليها الأجنبي اليهودي الصهيوني، الذي يريد منها أن ينسج خيوطه العنكبوتية ليختطف من أراضي المسلمين ومن بقاعهم، وليتمادى في استعمار الأراضي الاسلامية مؤيدا بالاستعمارات الغربية والشرقية.

ومن سوء حظ المسلمين ان الذين كان يجب ان يدافعوا عن أرض الاسلام قد اجتذبتهم دعوات خارجية اجنبية. فبعضهم يدعو باسم البعث، وبعضهم يدعو باسم الشيوعية، وبعضهم يدعو باسم الاشتراكية العربية، وبعضهم يدعو باسم القومية. وهذه القومية تختلف نزعاتها، منها قومية ملحدة كافرة؛ ومنها قومية لا تنظر الا الى أرض ضيقة. وكل هذا يتنافى مع دعوة الاسلام ومع وحدة الاسلام. لقد قالوا ان الدعوة الى التضامن الاسلامي دعوة الى حلف بين الشعوب ضد بعض الدول الأجنبية أو لتأييد بعض الدول الأجنبية ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا﴾[٤] ، ان فكرة التضامن الاسلامي فكرة صدرت من قلوب مؤمنة بالله، صادقة، داعية الى الحق، لا تريد الا الخير للاسلام والمسلمين. وهب ان هذا التضامن حلف، وهب انه اتفاق وهب انه معاهدة بين المسلمين! أي غبار على ذلك وأي شيء يضرنا اذا كنا لا نستطيع ان نجتمع الا اذا استعملنا اسلوبا من اساليب العصر؛ وهو المعاهدات بين الدول الاسلامية؟ أي ضرر يضرنا؟ أي شيء يمس بنا؟

أيها الاخوان، أقولها بكل صراحة، ان الغربيين والشرقيين والصليبيين والصهيونيين والماركسيين قد تألبوا على بلاد الاسلام، وهم هذه المرة لا يقاومونا بالسلاح فقط ولكنهم يقاومونا بالأجهزة الاجتماعية، التي قد اسسوها داخل بلاد الاسلام. فنحن نجد المقاومة من أبناء الاسلام أو ادعياء الاسلام أكثر مما نجدها من غيرهم. ولذلك فلابد من أن يتنبه ويتيقظ الواعون من المسلمين، الثلة المؤمنة من المسلمين ويربطوا نفوسهم ويرابطوا في خدمة هذه الفكرة التي هي الدعوة الى التضامن والى الوحدة الاسلامية. .

الهوامش:

*- ولد السيد علال الفاسي بمدينة فاس في المغرب، وتعلم في جامعة القرويين واستاذ الفلسفة الاسلامية وتاريخ التشريع الاسلامي.

١ - الانبياء/ ٩٢.

٢ - المؤمنون/ ٥٢.

٣ - أدخل على هذه الفقرة تعديل ليستقيم المقصود منها. والفقرة الأصلية هي: «اذن الأمم كلها، الاسلامية، اذا صح ان نسميها اممًا والا فهي في الحقيقة امة واحدة، واذا صح ان نقول شعوبا، كما يعبرون اليوم، والا فهي شعب واحد، الشعب المسلم، من أرض الصين الى جنوب أفريقيا».

٤ - الكهف/ ٥.